دَورُ الأُســـــــرَةِ

في

رِعَايَةِ الطِّفْــلِ إيمَانيّــًا

عَلَى هَدْيِ السُّنَّةِ المُطَهَّرةِ

بقلـــم

الدكتور قاسم علي سعد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـَّة

الحمد لله ، والصلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد : فـإنَّ الأُسَـر لا تـألو حرصاً ولا تدَّخر وُسْعًا ، في تربيـة أولادها ورعايتهم جسـديًا ونفسـيًّا واجتماعيًّا وعقليًّا ، وتبذل في هـذا السبيل كل نفيس ، وترد من أجلـه كل مورد ، وهو أمر معهود بالفطرة ، ومطلوب بالشرع ، حـضَّ عليـه ديننا الحنيف في أصوله وفروعه .

لكن الكثيرين غفلوا عن الـركن الأهم في التربية ، وهـو التربيـة الإيمانية ، فصانوا أولادهم عن مزلَّة الأقدام في الدنيا ، ولم يتنبَّهوا إلـى أنَّ صونهم عن الزَّلَل فـي الآخـرة أولى وأجدر .

ومن هذا المنطلـق تبـرز أهمية الكتابـة فـي هـذا الجانـب العظيم : (تربية الطفل إيمانيًّـا) ، وذلك من خلال الأُسرة التـي هـي المحضن الأول للطفل .

والمصدر الكامل والشامل لهـذه التربية هـو سـنة المصـطفى ﷺ المبينةُ لكتاب الله تعالى قولاً وفعـلاً وحالاً ، وعلـى هـدي هـذا المنهج النبوي الأمثل قـام البحـث وتنامى .

والله الكـريمَ أسـألُ أن يجعلـه خالصاً لوجهه ، وأن يحقِّق به النفع ، إنَّه سبحانه سميع مجيب .

وصلَّى الله وسلَّم وبـارك علـى سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين .

قاله وكتبه

قاسـم علـي سعـد

جامعة الشارقة

كلية الشريعـة

٤٩٧

المقدّمة

امتاز ديننا الحنيف بخصائص كبرى تدل على صفائه وخلوده ، منها : خصيصة الشمول مع التوازن ، فهو هداية للإنسان على اختلاف مراحل حياته : من طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة ، بل تقدَّم وتأخَّر ليراعي عالَم الأجنَّة وعالَم الأموات ، وما وراءهما . كما وافقت هدايته بين مطالب الجسد والعقل والروح ، وأقامت صرح الدنيا المفضية إلى الآخرة ، ووثّقت صلة الإنسان بربّه مع توطيدها الصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان .

وإلى بعض هذه المعاني يشير قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] .

كما يجليها قول النبي ﷺ - فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما- : " فإنَّ لجسدك عليك حقًّا ، وإنَّ لعينك عليك حقًّا ، وإنَّ لزوجك عليك حقًّا ، وإنَّ لزورك - (وفي رواية : لولدك)[2] - عليك حقًّا "[3] . ويزيدها إيضاحاً قول سلْمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله عنهما : " إنَّ لربِّك عليك حقًّا ، ولنفسك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه " ، فلمَّا أخبر النبيَّ ﷺ بـه قال : " صدق سلْمان "[4] .

من هذا التوجيه كان للطفولة في الإسلام مجال رَحْب لا يقلّ شأنه عن سائر المجالات ، بل قد يتفوَّق عليها ؛ لأنَّ هذه المرحلة هي أساس المراحل التالية ، وقاعدتها . ولأنَّ الإصلاح فيها أسهل وأنفع وأبقى .

---

(١) سورة غافر : الآية ٦٧ .

(٢) أخرجها مسلم في صحيحه متابعة : كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر ٨١٤/٢ ، حديث (١٨٣) .

(٣) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه : كتاب التهجُّد ، باب ما يكره من ترك قيام الليل .. إلخ ٣٨٧/١ ، حديث (١١٠٢) . وكتاب الصوم ، باب حق الضيف في الصوم ٦٩٦/٢ ، حديث (١٨٧٣) . وفيه أيضا ، باب حق الجسم في الصوم ٦٩٧/٢ ، حديث (١٨٧٤) - واللفظ له- . وكتاب النكاح ، باب : لزوجك عليك حق ١٩٩٥/٥ ، حديث (٤٩٠٣) . وكتاب الأدب ، باب حق الضيف ٢٢٧٢/٥ ، حديث (٥٧٨٣) . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرّر به .. إلخ ٨١٣/٢،حديث (١٨٢) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأدب ، باب صنع الطعام والتكلف للضيف ٢٢٧٣/٥ ، حديث (٥٧٨٨) .

وبما أنَّ الطفل لا يمكنه القيام برعاية نفسه وتأهيلها - لما اقتضته حكمة الله تعالى من إخراجه إلى الدنيا ضعيفًا خاليًا من العلم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾[5] - نيطت مسئولية رعايته بأُسرته حتى يَرشد ويستقلّ .

والمرادُ بالأُسرة في هذا المقام : الأبوان . وهي في اللغة : أقارب الرجل من قِبَل أبيه . وهي في الأصل : الدِّرع الحصينة ، وسُمِّي بها أقرباء الرجل لأنه يتقوَّى بهم[6] .

وبناءً عليه يمكن تقسيم الأُسرة إلى قسمين : الأُسرة الصغيرة وهي الزوجية ، ويندرج فيها ما يتفرَّع عنها وما يلحق بها ، والأُسرة الكبيرة وهي عشيرة الرجل .

---

(٥) سورة النحل : من الآية ٧٨ .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري : (كتاب السين ، أبواب الثلاثي المعتل ، باب السين والراء ، أسر) ، ٦٠/١٣ . الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري : (باب الراء ، فصل الهمزة) ، ٥٧٩/٢ . تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي : (باب الراء ، فصل الهمزة) ، ٥١/١٠ .

والمراد بالطفل : الصبي من حين ولادته إلى أن يبلغ . وجمعه أطفال ، وقد يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع ، ولا فعل له . والطفولة : المرحلة من الميلاد إلى البلوغ . وأصله من طَفُلَ بمعنى نَعُمَ ورَقَّ ، والطِّفْل : النَّاعم من كل شيء ، وهو أيضاً : الصغير من كل شيء[1] .

وعلى ضوء تعريف الأُسرة والطفل نستشعر افتقار الآخر إلى رعاية الأول وحفظه وحياطته وتعاهده وولايته .

وأمَّا الميدان الإيماني للرعاية الذي ينعقد هذا البحث عليه ، فيُحَدَّد من خلال حديث جبريل عليه السلام لما سأل نبيّنا ﷺ عن الإيمان - أي عن قواعده وأركانه- فأجابه ﷺ بقوله- كما في رواية عبد الله بن

---

(١) تهذيب اللغة : (كتاب الطاء ، أبواب الثلاثي الصحيح ، باب الطاء واللام ، طفل) ، ٣٤٧/١٣-٣٤٩ . لسان العرب لابن منظور ، (الطبعة المرتّبة على طريقة المعاجم الحديثة) ، ٢٦٨١/٤-٢٦٨٣ . المعجم الوسيط للجنة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٥٦٠/٢ . وتنظر تعريفات أخرى للطفل في: تاج العروس: (باب اللام ، فصل الطاء) ، ٤١٧/٧، وكشف القناع المرتّى عن مهمات الأسامي والكنى لبدر الدّين العيني ٣٤٢ .

٥٠٠ عمر بن الخطَّاب عن أبيه رضي الله عنهما -:"أن تؤمن بالله،وملائكته،وكتبه،ورسله،واليوم الآخر،وتؤمن بالقَدَر خيره وشرّه "(٢) .

وقد سبق القرآن الكريم إلى ذكر هذه الأصول الستة في مواضع ، منها : قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾(٣) ، وقوله - سبحانه- أيضاً : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٤) .

فهذه الأُسس هي المحور الرئيس لهذا البحث، مع إدراج أخصّ مظاهر الإيمان السلوكية وأعلاها ، وهي أركان الإسلام التي ذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل أيضاً بقوله : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأنَّ محمَّداً رسول الله ، وتقيمَ الصلاة ، وتؤتيَ الزكاة ، وتصومَ رمضان ، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً "(٥) .

ويمكن لمن أراد التوسُّع في هذا الميدان أن يُدخل فيه كل آثار الإيمان وثمراته ، وعليه يدلّ قول النبي ﷺ - فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه- : " الإيمان بِضْع وسبعون - أو بضع وستون- شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلاَّ الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان "(٦) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .. إلخ ١/٣٦-٣٨ ، الحديث الأول . وله شاهد من رواية أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه : أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ١/٢٧-٢٨ ، حديث (٥٠) . وكتاب التفسير (سورة لقمان) ، باب : إنَّ الله عنده علم الساعة ٤/١٧٩٣ ، حديث (٤٤٩٩) . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٩، ٤٠، حديث (٥) ، (٧) .

(٣) سورة النساء : الآية ١٣٦ .

(٤) سورة القمر : الآية ٤٩ .

(٥) تقدّم تخريجه .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان ١/١٢ ، حديث (٩) . ومسلم في صحيحه أيضا : كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان .. إلخ ١/٦٣ ، حديث (٥٧) ، (٥٨) - واللفظ للأخير - .

الدور التحضيري

تكوينُ الأُسرة المؤمنة وإعدادُها لظهور الطفل المؤمن

توطئة :

مَثَل الطفل السوي كمثل النبتة الطرية الصالحة ، تظهر من خلال عوامل مترابطة ومتساوقة ، فهي في الأصل بَذْرة صالحة وضعت في تربة طيِّبة ، ضمن جوّ ملائم وفي وقت مناسب ، وتعوهدت بالغذاء والرعاية ، فنمت ثم بزَغت . والطفل الصالح نتاج بَذْرة سوية صالحة ، علقت ببويضة خصبة كريمة المحتد قويمة الطبع ، ثم تدرَّجت في أطوار مقدَّرة حتى تشكّل الحمل ونُفخت فيه الرُّوح . وعن هذا الأصل الأول يتحدَّث القرآن المجيد فيقول : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ من سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(١) .

وتربية الوليد على اختلاف مساراتها ، وتعدُّد ميادينها ، مبنيَّة على هذه المرحلة السابقة التي تُعَدُّ الأساس الأوَّل الذي له أثر كبير فيما يليه من مراحل ؛ لذا أُقدِّم عرضاً موجزاً لهذه المرحلة من الوجهة الإيمانية :

(أ) تكوين الأُسرة المؤمنة :

تحرص الأُسرة المؤمنة على تربية وليدها على الإيمان حتى يبلغ الحلم ، ويستقلّ بنفسه ، فيتطلَّع حينئذٍ إلى السَّكَن والزواج والأُبُوَّة بفطرته، كما يُشعر قول الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

فتوجهه أُسرته إلى اختيار الفتاة المؤمنة المتكافئة امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾(٣)، وتحقيقاً لتوجيه النبي ﷺ - فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه - : " تُنْكَحُ المرأة لأربَعٍ : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك "(٤) .

(١) سورة المؤمنون : الآيات ١٢-١٤ .

(٢) سورة الروم : الآية ٢١ .

(٣) سورة البقرة : من الآية ٢٢١ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدِّين ٥/١٩٥٨ ، حديث (٤٨٠٢) . ومسلم في صحيحه

فإذا خَطَبها كان حريًّا بأوليائها أن يُزَوِّجوه إذا رضيته التزامًا بقول النبي ﷺ – فيما رواه أبو حاتم المزني رضي الله عنه – : " إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقه فأنكحوه ، إلاَّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض "[٥] .

(ب) إعداد الأُسرة المؤمنة لظهور الطفل المؤمن :

إذا تمَّ عقد النكاح ، وحصل اللقاء ، فعلى الزوجين أن يتحصَّنا عند المعاشرة ، ويُحصنا نسلهما بالدعاء المأثور عن النبي ﷺ بقوله – كما في رواية ابن عباس رضي الله عنهما– : " لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله ، اللَّهُمَّ جَنِّبنا الشيطان وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا فإنَّه إن يُقدَّر بينهما ولد في ذلك لم يَضُرَّه شيطانٌ أبداً "[١] .

وعليهما أن يسألا الله تعالى الذرية المؤمنة الصالحة تطبيقاً لما في قوله سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[٢] ، وائتساءً بدعاء أبينا إبراهيم عليه السلام كما حكى القرآن الكريم : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٣] .

* * *

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه : كتاب الوضوء ، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع ١/٦٥-٦٦ ، حديث (١٤١) . وكتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ٣/١١٩٣ ، حديث (٣٠٩٨) . وفيه أيضا في الباب نفسه ٣/١١٩٦ ، حديث (٣١٠٩) . وكتاب النكاح ، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله ٥/١٩٨٢ ، حديث (٤٨٧٠) . وكتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أتى أهله ٥/٢٣٤٧ ، حديث (٦٠٢٥) – واللفظ له – . وكتاب التوحيد ، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ٦/٢٦٩٢ ، حديث (٦٩٦١) . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب النكاح ، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع ٢/١٠٥٨ ، حديث (١١٦) .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨٩ .

(٣) سورة الصافات : الآية ١٠٠ .

الدور المباشر

ميدان الأُسرة في رعاية الطفل إيمانيًّا

تمهيد

(أ) مسئولية الأُسرة :

عَهِد الله سبحانه وتعالى إلى الأُسرة عَهْداً عظيماً ، وحمَّلها مسئولية تنشئة وليدها – حتى يشبّ– على الإيمان ، ومعلوم أنَّ حفظ الدِّين رأسُ الضروريات الخمس ، فهو مقدَّم على حفظ النفس والعقل والعِرض والمال[١] .

ومن إرشادات القرآن الكريم في ذلك : قوله سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[٢] ، ومن توجيهات النبي ﷺ فيه قوله – فيما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما – : " ألا كلكم راعٍ ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذي على النَّاس راعٍ وهو مسئول عن رعيَّته ، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عن رعيَّته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راعٍ على مال سيِّده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيَّته "[٣] .

وقد ذكَّر الإمام أبو حامد الغزالي بهذه المسئولية الخطيرة – لا سيَّما من الناحية الإيمانية– ، وما تدره من عوائد شاملة طيِّبة إذا أُحسن القيام بها ، وأمَّا إذا وقع التقصير والإهمال فإنَّ العواقب تكون وخيمة على الولد والأُسرة والمجتمع والأُمَّة

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ١٩٩ ، ٢٠٧ .

(٢) سورة التحريم : من الآية ٦ . قال أبو جعفر الطبري في تفسيره ٢٨/١٦٥ : " وقوله : ﴿ وأهْلِيكُمْ نارا ﴾ يقول : وعلّموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النّار " .

(٣) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه : كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ١/٣٠٤ ، حديث (٨٥٣) . وكتاب الاستقراض ، باب العبد راع في مال سيِّده .. إلخ ٢/٨٤٨ ، حديث (٢٢٧٨) . وكتاب العتق ، باب كراهية التطاول على الرقيق .. إلخ ٢/٩٠١ ، حديث (٢٤١٦) . وفيه أيضا ، باب العبد راع في مال سيِّده ٢/٩٠٢ ، حديث (٢٤١٩) . وكتاب الوصايا ، باب تأويل قول الله تعالى : ﴿ من بعْد وصيَّةٍ يُوصي بها أوْ دَيْن ﴾ ٣/١٠١٠-١٠١١ ، حديث (٢٦٠٠) . وكتاب النكاح ، باب : ﴿ قُوا أنفسكُمْ وأهْليكُمْ نارا ﴾ ٥/١٩٨٨ ، حديث (٤٨٩٢) . وفيه أيضا ، باب المرأة راعية في بيت زوجها ٥/١٩٩٦ ، حديث (٤٩٠٤) . وكتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى : ﴿ أطيعُوا اللّه وأطيعُوا الرّسُولَ وأُولي الأمْرِ منكُمْ ﴾ ، ٦/٢٦١١ ، حديث (٦٧١٩) – واللفظ له– . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل .. إلخ ٣/١٤٥٩ ، حديث (٢٠) .

٥٠٤ ، فقال : " اعلم أنَّ الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها ، والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذَجة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عُوِّد الشرّ وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك ، وكان الوِزْر في رَقَبة القيم عليه والوالي له ... ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى ، وصيانته بأن يؤدِّبه ويهذِّبه ويعلِّمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء ، ولا يعوده التنعُّم ... بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره..."[٤].

وقال ابن الجَزَّار القيرواني الطبيب : " أُمرنا نحن أن نؤدِّب الصبيان وهم صغار ؛ لأنَّهم ليس لهم عزيمة تصرفهم عمَّا يُؤمرون به من المذاهب الجميلة ، فمن عَوَّد ابنه الأدب والأفعال الحميدة والمذاهب الجميلة في الصغر حاز بذلك الفضيلة ... ومن ترك فعل ذلك وتخلَّى عن العناية به ، أدَّاه ذلك إلى عظيم النقص والخساسة ، ولعلَّه يَعرف فضيلة ذلك في وقت لا يمكنه تلافيه واستدراك ما فاته منه ، فتحصل له الندامة التي هي ثمرة الخطأ "[١] .

وقال ابن القَيِّم : " فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سُدى ، فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل ترك الآباء لهم وإهمالهم لهم ، وتركه تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوها صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آباءهم كباراً ، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق ، فقال : يا أبت ، إنك عققتني صغيراً ، فعققتك كبيراً ، وأضعتني وليداً ، فأضعتك شيخاً "[٢] .

وإذا أحسن الأبوان القيام بهذه المسئولية الجليلة ، كان الولد قُرَّة عين لهما في دنياهما وأُخراهما ، وفي الكتاب المجيد والسُّنَّة المطهَّرة تنويه بهذه الثمرة الطيِّبة ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

(١) سياسة الصبيان وتدبيرهم ١١٤ .

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ١٨٥ .

(٤) إحياء علوم الدّين ٧٢/٣ .

ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[٣] ، وقال رسول الله ﷺ - فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه -: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاَّ من ثلاثة : إلاَّ من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له "[٤] .

(ب) القلب مَغْرِس الإيمان :

قلب الإنسان هو حقيقة الإنسان ، فبه يؤمن ، وبه يتخلَّق ، لذا كان له في الإسلام منزلة لا تُسامى ، قال الله تعالى إخباراً عن دعاء إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٥] . وقال رسول الله ﷺ - فيما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما - : " ألا وإنَّ في الجسد مضغة ، إذا صَلَحت صَلَح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب "[٦] .

(٣) سورة الطور : من الآية ٢١ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١٢٥٥/٣ ، حديث (١٤) .

(٥) سورة الشعراء : الآيات ٨٧-٨٩ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ٢٨/١-٢٩ ، حديث (٥٢) . ومسلم في صحيحه أيضا : كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ١٢١٩/٣-١٢٢٠،حديث(١٥٩٩):وقد اقتصرت على قطعة منه .

وقد أوضح أبو حامد الغزالي عمل القلب وأثره وخطره فقال : " فالقلب هو العالم بالله ، وهو المتقرّب إلى الله ... وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات ... فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله ، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله ، وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب ... وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ... وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ... هو لطيفة ربَّانية روحانية ... وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان "[١] .

وسخَّر الله سبحانه وتعالى سائر أعضاء الإنسان لتكون خدماً لهذا القلب ، وجعل البدن مركبه ، والدنيا منزله ، والدار الآخرة مستقرّه . وهو محل العلم الذي هو زاده إلى الله تعالى[٢] .

لذا كان على المربِّي أن يوجِّه عظيم عنايته ، وجليل رعايته ، إلى

(١) إحياء علوم الدّين ٢/٣، ٣ .

(٢) المصدر السابق ٥/٣، ٩ - ١٠، ١٧ .

هذا القلب الذي لم يُخلق البدن والأعضاء إلاَّ لأجله ، ومصداق ذلك قول النبي ﷺ - فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه - : " إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم "(٣) . وإذا صلح القلب صلحت سائر الأعضاء ، وصلحت الأعمال ، وصلحت الدنيا والآخرة .

(ج) الفطرة الإيمانية :

جبل الله سبحانه وتعالى النَّاس على هذه الفطرة الصافية ، وطبعهم عليها ، وحفظهم بها ، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾(٤) .

فهي القاعدة العظمى التي يُشاد عليها صرح الكمال الإنساني ، وما على الرَّبَّاني إلاَّ أن يبني على أساسها القويم ، وأمَّا الشقي فإنَّه يحجب بشقاوته معالم هذه الفطرة ، ويقيم بناءه على غير قرار ، فتهوي به الريح في مكان سحيق ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(٥) .

فالطفل يخرج إلى الدنيا مهيَّأً للتلقِّي على أساس جبلِّي متين ، وفطرة صافية لم تُشغل بشيء من الموانع ، لذا كان على المربِّي أن يغتنم الفرصة من بدايتها ، وحينئذ تؤتي التربية أُكلها كل حين بإذن ربها ؛ لأنَّ " من أشرقت بدايته أشرقت نهايته "(٦) .

وأمَّا إذ أهملت التربية فإنَّ النفس تتأثَّر بما يجري في محيطها : إن خيرا فخير ، وإن شرًّا فشرّ .. وأما إذا طمست آثار هذه الفطرة ، وحجبت أنوارها بالزيغ والفساد فإنَّ فائدتها تختفي وتضيع ، وفي هذا يقول النبي ﷺ - فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه - : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه ، كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تُحسُّون فيها من جدعاء ؟ "(٧) .

---

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب البرّ والصِّلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٤/١٩٨٦-١٩٨٧ ، حديث (٣٣) ، (٣٤) - واللفظ للأخير - .

(٤) سورة الروم : الآية ٣٠ .

(٥) سورة الشمس : الآيات ٧-١٠ .

(٦) الحكم لابن عطاء الله السكندري ١٠٩ .

(٧) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه : كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلَّى عليه؟ .. إلخ ١/٤٥٦-

٤٥٧ ، حديث (١٢٩٢) ، (١٢٩٣) - واللفظ له - . وفيه أيضا : باب ما قيل في أولاد المشركين ١/٤٦٥ ، حديث (١٣١٩) . كتاب التفسير (سورة الروم) ، باب لا تبديل لخلق الله ٤/١٧٩٢ ، حديث (٤٤٩٧) - وهو باللفظ الأول أيضا - . وكتاب القدر ، باب : الله أعلم بما كانوا عاملين ٦/٢٤٣٤ ، حديث (٦٢٢٦) . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب القدر ، باب معنى : كل مولود يولد على الفطرة .. إلخ ٤/٢٠٤٧-٢٠٤٩ ، حديث (٢٢) - (٢٥) .

(د) مراحل الطفولة :

الطفولة هي المرحلة الأولى من مراحل عمر الإنسان، وهي تنقسم في ذاتها إلى أربع مراحل- ويمكن الزيادة في عددها والنقصان منه حسب الإجمال والتفصيل- ، أعرضها على الوجه التالي :

المرحلة الأُولى : تبدأ من الولادة إلى نهاية مدَّة الرضاع .

والمرحلة الثانية : من سن الثالثة إلى السابعة .

والمرحلة الثالثة : من السابعة إلى العاشرة .

والمرحلة الأخيرة : من العاشرة إلى البلوغ .

أُسس الرِّعاية الأُسرية للطفل إيمانيًّا

لكل مرحلة من مراحل الطفولة المذكورة أساس جامع لرعاية الأُسرة إيمانيًّا عليه ، أصوغه على هدي الفطرة الإيمانية التي صبغ الله النَّاس عليها ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾(١) ، وأستنبطه من هدايات الذكر الحكيم ، وتوجيهات النبي الكريم ﷺ ، فأقول :

أساس المرحلة الأولى : إيقاظُ فطرة الوليد ، وتحصينُها .

وأساس المرحلة الثانية : الربط المباشر للوليد بالفطرة ، مع توسيع نطاقها ، وتحريك الوليد بها .

وأساس المرحلة الثالثة : تدريب الطفل وترويضه على مقتضيات الفطرة الموسعة ، وصَقْلُه بها .

وأساس المرحلة الأخيرة : تحقيق التزكية الإيمانية القائمة على الفطرة الموسعة ومقتضياتها .

فأوَّل هذه الأُسس نداء ، والثاني تشويق ، والثالث تسليك ، والأخير تثبيت وتمكين .. وبتمامه يقوم البناء .

---

(١) سورة البقرة : من الآية ١٣٨ .

ويمكن تمثيل هذه الأسس الأربعة بعوامل حياة الأرض ، المُتضمَّنة في قول الله تعالى : ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[٢] . فالعامل الأول هو إنزال الماء عليها ، ويليه الاهتزاز ، ثم الرُّبُوّ ، ثم الإنبات . ويقابلها الأُسس على نسقها المتقدّم : إيقاظ ، ثم ربط ، ثم ترويض ، ثمَّ تزكية . وبهذا يظهر التوافق .

ولتوضيح هذه الأُسس الأربعة أقول :

أولاً : إيقاظ فطرة الوليد الإيمانية وتحصينُها :

يولد الطفل على الفطرة الإيمانية القوية ، لكنه لا يدرك أنوارها ؛ لخلوّه من العقل ، وتجرُّده من العلم . ويحضره الشيطان منذ ولادته للإيذاء كما أخبر النبي ﷺ بقوله - فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه - : " ما من مولود يُولد إلاّ والشيطان يَمَسُّهُ حين يُولد ، فَيَسْتَهِلُّ صارخاً من مسِّ الشيطان إيَّاه إلاّ مريم وابنها . ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم : ﴿ وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[١] "[٢] . وذكر الله عاصم من الشيطان ، والشيطان يخنس عند الذكر ، فإذا غفل الإنسان عنه عاوده الشيطان ، وإذا لازم الغفلة لازمه الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾[٣] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ٣/١١٩٦ ، حديث (٣١١٢) . وكتاب الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ واذْكُرْ في الكتاب مريم إذ انتبذتْ من أهلها مكاناً شرقيّا ﴾ ٣/١٢٦٥ ، حديث (٣٢٤٨) . وكتاب التفسير (سورة آل عمران) ، باب : ﴿ وإني أُعيذها بك وذريّتها من الشيطان الرجيم ﴾ ٤/١٦٥٥ ، حديث (٤٢٧٤)- واللفظ له- . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام ٤/١٨٣٧ ، حديث (١٤٦) ، (١٤٧) .

واستشكل بعضهم معنى هذا الحديث ، فدفع ذلك ابن حجر في فتح الباري ٨/٢١٢ بقوله : " والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ، ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء ، بل ظاهر الخبر أنّ إبليس ممكّن من مسّ كل مولود عند ولادته ، لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضرّه ذلك المسّ أصلا ، واستثنى من المخلصين مريم وابنها ، فإنّه ذهب يمسّ على عادته فحيل بينه وبين ذلك ، فهذا وجه الاختصاص ، ولا يلزم منه تسلُّطه على غيرهما من المخلصين " .

(٣) سورة الزُّخرف : الآية ٣٦ .

فيحتاج الوليد إلى إيقاظ فطرته الإيمانية الكامنة ، وإلى حفظها وتحصينها من عَبَث الشياطين وإضرارهم ، ويتحقَّق ذلك باتِّباع التوجيهات النبوية الحكيمة في هذا الأمر ، وأهمّها :

١- التأذين في أُذن الوليد اليمنى والإقامة في اليسرى : سنَّ رسول الله ﷺ هذا الفعل عقب الولادة ليكون أول شَحْنة إيمانية تملأ أرجاء الوليد ؛ فتوقظ فطرته ، وتسري في طينته ، موحية بأنه لم يخلق إلاّ ليحقق معاني تلك الكلمات الخالدات . وليكون هذا الفعل أيضاً حمية من الشيطان الغَويّ المتربّص ، فعن أبي رافع القبطي مولى رسول الله ﷺ أنه قال : " رأيت رسول الله ﷺ أذَّنَ في أُذُن الحسن بن علي - حين ولدته فاطمة- بالصلاة "[٤] ، وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما : " أنَّ النبي ﷺ أذَّنَ في أُذُن الحسن بن عليّ يوم وُلِد ، فأذَّن في أُذُنه اليمنى ، وأقام في أذنه اليسرى "[٥] ، ورُوي عن النبي ﷺ - وهو من رواية الحسين بن علي رضي الله عنهما- أنَّه قال : " من وُلد له مولود فأذَّنَ في أُذُنه اليمنى ، وأقام في أُذُنه اليسرى لم تضرّه أمّ الصِّبيان[٦] "[٧] .

وأوضح العلاَّمة ابن قَيِّم الجوزية بعض الحكمة من هذا التأذين ، فقال : " وسرّ التأذين - والله أعلم- : أن يكون أوَّل ما يَقْرَعُ سَمْعَ الإنسان كلماتُه المتضمِّنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أوَّل ما يدخل بها في الإسلام ، فكان ذلك كالتَّلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يُلَقَّنُ كلمةَ التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر

---

(٤) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الأدب ، باب الصبي يولد فيؤذّن في أذنه ٥/٣٩٩ ، حديث (٥٠٦٤) . والترمذي في جامعه : كتاب الأضاحي ، باب الأذان في أُذن المولود ٤/٩٧ ، حديث (١٥١٤) ، وقال " هذا حديث حسن صحيح " .

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : الشعبة الستون (وهي باب في حقوق الأولاد والأهلين) ٦/٣٩٠ ، حديث (٨٦٢٠) ، وحكم على إسناده وإسناد الحديث الذي بعده بقوله : " في هذين الإسنادين ضعف " .

(٦) هي التابعة من الجن كما في سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلّة الأحكام للصنعاني ٤/٢٠٥ .

(٧) أخرجه ابن السنّي في عمل اليوم والليلة : باب ما يعمل بالولد إذا ولد ٥٧٨ ، حديث (٦٢٣) - واللفظ له - . والبيهقي في شعب الإيمان : الشعبة الستون (وهي باب حقوق الأولاد والأهلين) ٦/٣٩٠ ، حديث (٨٦١٩) .

٥١٠ وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثيره به وإن لم يشعر . مع ما في ذلك من فائدة أخرى ، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان ، وهو كان يرصده حتى يولد ، فيقارنه للمحنة التي قدَّرها الله وشاءها ، فيُسمع شيطانه ما يُضعفه ويُغيظه أوَّل أوقات تعلُّقه به .

وفيه معنى آخر : وهو أن تكون دعوته إلى الله ، وإلى دينه الإسلام ، وإلى عبادته ، سابقة على دعوة الشيطان ، كما كانت فطرة الله التي فُطر عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ، ولغير ذلك من الحكم "[1] .

٢- الدُّعاء له بالخير والصَّلاح : ينبغي على الوالدين أن يحصِّنا وليدهما بالدعاء له بالتوفيق والإيمان ، قال الله تعالى إخباراً عن دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾[2]، وقال - سبحانه- أيضاً إخباراً عن دعاء إبراهيم عليه السلام:

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ٣٩-٤٠ (مع الاستعانة بطبعات أُخرى لهذا الكتاب في هذا الموضوع) .

(٢) سورة البقرة : من الآية ١٢٨ .

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾[3] ، وقال - سبحانه- أيضاً في وصف عباد الرحمن : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾[4].

وقد حثَّ المولى سبحانه وتعالى المؤمنين على ذاك الدعاء الجامع العظيم الذي تضمَّنه قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[5] .

ومن هدي النبي ﷺ في هذا الشأن ما ذكره البراء بن عازب الأنصاري رضي الله عنه بقوله : " رأيت النبي

(٣) سورة إبراهيم : من الآية ٤٠ .

(٤) سورة الفرقان : الآية ٧٤ . وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في تفسيرها - كما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال ، باب صلاح الولد ٢/٦٠٩ - : " أما إنه لم يكن قرَّةُ أعين أن يرونه صحيحا جميلا ، ولكن أن يرونه مطيعا لله عزَّ وجلَّ " .

(٥) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

ﷺ والحسن بن عليّ على عاتقه يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّه فأحبَّه "[6] .

ويستعين الوالدان على تحقيق ذلك بأهل الصَّلاح والفضل ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّه قال : " وُلد لي غلام فأتيتُ به النبي ﷺ فسمَّاه إبراهيم ، فحنكه بتمرة ، ودعا له بالبركة ،ودفَعه إليّ "[1] .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ٣/١٣٧٠ ، حديث (٣٥٣٩) - واللفظ له- . ومسلم في صحيحه أيضا : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما ٤/١٨٨٣ ، حديث (٥٨) ، (٥٩) . وللحديث شواهد في الصحيحين وغيرهما .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العقيقة ، باب تسمية المولود غداة يولد .. إلخ ٥/٢٠٨١ ، حديث (٥١٥٠) - واللفظ له- . وكتاب الأدب ، باب من سمَّى بأسماء الأنبياء ٥/٢٢٩٠ ، حديث (٥٨٤٥) . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب الأدب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه .. إلخ ٣/١٦٩٠ ، حديث (٢٤) .

وقد كانوا لا يقتصرون من بركات رسول الله ﷺ في أطفالهم على دعائه لهم وتحنيكه ، وإنَّما استنفدوا كل السبل الممكنة في ذلك ، ومنها ما فعلته أم سُليم بنت ملْحان الأنصارية لما قال النبي ﷺ ذات يوم في بيتها ، قال ابنها أنس بن مالك رضي الله عنه - كما في صحيح مسلم : كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرُّك به ٤/١٨١٥-١٨١٦ ، حديث (٨٤) - : " كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سُليم فينام على= =فراشها ، وليست فيه . قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها ، فأُتيتُ ، فقيل لها : هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك . قال : فجاءت وقد عرِق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ، ففتحت عتِيدتها فجعلت تُنشِّف من ذلك العرق فتعصِرُهُ في قواريرها ، ففزع النبي ﷺ فقال : ما تصنعين يا أم سُليم؟فقالت:يا رسول الله،نرجو بركته لصبيانا.قال:أصبت " .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الطب ، باب كيف الرُّقى ؟ ٤/٣٣٣ ، حديث (٣٨٨٩) - واللفظ له- . والترمذي في جامعه : كتاب الدعوات ، باب (٩٣) ، ٥/٥٤١-٥٤٢ ، حديث (٣٥٢٨) ، وقال عقبه : " هذا حديث حسن غريب " .

وقال ابن حجر في فتح الباري ٦/١٤٢ في أواخر شرحه لحديث البخاري : (لا تبقينَّ في رقبة بعير قِلادة من وتر أو قلادة إلاَّ قُطعت) : " هذا كله في تعليق التمائم وغيرها ممَّا=

٥١١ ولا حرج إن شاء الله تعالى من كتابة بعض الأدعية المشروعة وتعليقها في عنق من لم يعقل من الصبيان ، لحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه رضي الله عنه : " أنَّ رسول الله ﷺ كان يُعلِّمهم من الفزع كلمات : أعوذ بكلمات الله التامَّة ، من غضبه وشرّ عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون . وكان عبد الله بن عمرو يُعلِّمهن من عَقَل من بنيه، ومن لم يعقل كتبه فعلَّقه عليه "[2] .

٣- النَّسك عنه : سنَّ رسول الله ﷺ هذه النَّسيكة (العقيقة) في اليوم السابع ، قال عليه الصلاة والسلام – فيما رواه سلمان بن عامر الضَّبِّي- : " مع الغلام عَقيقة ، فأهْريقوا عنه دماً ، وأميطوا عنه الأذى "[٣] .

وأوضح ابن القَيِّم سرّ العقيقة الإيماني ، وممَّا قاله فيه : " وفيها سر بديع ، مورروث عن فداء إسماعيل بالكبش الذي ذُبح عنه ، وفداه الله به ، صار سنَّة في أولاده بعده أن يُفدى أحدهم عند ولادته بذبح ، ولا يُستنكر أن يكون هذا حرزاً له من ضرر الشيطان ، ولهذا قلَّ من يترك أبواه العقيقة عنه إلاَّ وهو في تخبيط من الشيطان ، وأسرار الشرع أعظم من هذا! "[٤] .

٤- التصدُّق بزنة شعره فضة أو ذهباً : يُستحبّ حَلْق رأس الصبي في اليوم السابع ، ويُتَصدَّق بوزن شَعْره ، فعن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهما أنَّه قال : " وَزَنَتْ فاطمة بنت رسول الله ﷺ شعر حسن وحسين وزينب وأم كُلثوم ، فتصدَّقت بزنة ذلك فضَّة "[١] ، فهذا لون من ألوان تحصين فطرة الوليد الإيمانية[٢] .

٥- الفَتْح عليه بكلمة التوحيد : عندما يتأهَّل الطِّفل للنطق ، يُلقَّن كلمة التوحيد التي هي مفتاح النجاة ، حتى تكون أوَّل كلمة يتحرَّك بها لسانه ، وقد كانت أوَّل كلمة دوَّت في سمعه بعد ولادته حتى نقشت في قلبه ، وهي محور الفطرة التي جبله الله عليها ، بل إنَّها العهد الذي أبرمه الإنسان في عالم الذَّرِّ .. سموّ متتابع ، ورقيّ متواصل ، يرجى لصاحبه حسن الختام ، فقد رُوِي عن النبي ﷺ – من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما- قوله : " افتحوا على صبيانكم أوَّل كلمة بلا إله إلاَّ الله ، ولَقِّنوهم عند الموت لا

ليس فيه قرآن ونحوه ، فأمَّا ما فيه ذكر الله فلا نهي فيه فإنه إنَّما يجعل للتبرُّك به والتعوُّذ بأسمائه وذكره " .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العقيقة ، باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة ٥/٢٠٨٢-٢٠٨٣ ، حديث (٥١٥٤) . وفي الباب عدَّة أحاديث أخر .

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود ٦٥ . وينظر كتاب : حجَّة الله البالغة لولي الله الدهلوي ٢/١٤٤ .

(١) أخرجه مالك في الموطأ : كتاب العقيقة ، باب ما جاء في العقيقة ٢/٥٠١ ، حديث (٢) . وفي الباب عدَّة أحاديث أخر .

(٢) وينظر كتاب : حجَّة الله البالغة ٢/١٤٥ .

إله إلا الله "[٣] . وعن إبراهيم النَّخعي أنَّه قال : " كانوا يستحبُّون أوَّل ما يفصح أن يُعلِّموه : لا إله إلاَّ الله (سبع مرَّات) ، فيكون ذلك أوَّل ما يتكلَّم به "[٤] . قال ابن القَيِّم : " فإذا كان وقت نُطقهم فليُلَقَّنوا : (لا إله إلاَّ الله ، محمَّد رسول الله) ، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفةُ الله سبحانه وتوحيدُه "[٥] .

٦- تغذيته بالحلال وإبعاده عن المحرمات كلها : يلزم الأُسرة أن تُؤَمِّن لوليدها الغذاء الحلال في كل مراحله ، وتبعده عن المحرَّمات في

---

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : الشعبة الستون (وهي باب في حقوق الأولاد والأهلين) ٦/٣٩٧-٣٩٨ ، حديث (٨٦٤٩) ، وبقيته عنده : " فإنه من كان أول كلامه لا إله إلا الله وآخر كلامه لا إله إلا الله ثم عاش ألف سنة ما سُئل عن ذنب واحد " ، وقد قال عقبه : " متن غريب لم نكتبه إلاَّ بهذا الإسناد " . وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢/٤١٦ متعقِّباً ابن الجوزي في إيراده له في الموضوعات : " الحديث في المستدرك ، وأخرجه البيهقي في الشعب ... وأورده الحافظ ابن حجر في أماليه ولم يقدح في سنده بشيء إلاَّ أنَّه قال : إبراهيم فيه لين ، وقد أخرج له مسلم في المتابعات . والله أعلم " .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه : كتاب العقيقة ، باب ما يستحبّ للصبي أن يُعلَّم إذا تكلَّم ٤/٣٣٤ ، رقم (٧٩٧٧) .

(٥) تحفة المودود بأحكام المولود ١٨٧ .

مأكله ومشربه وملبسه وزينته ولُعبه .. إلخ ، حتى تحفظ صفاء فطرته ، ونقاء بنيته ، وتحفظ أيضاً دينها وصلاحها ، قال النبي ﷺ – فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه- : " إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلاَّ طيِّباً ... ثم ذكر الرجل يُطيل السفر أشعث أغبر ، يَمُدّ يديه إلى السماء : يا رب .. يا رب .. ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذِي بالحرام ، فأنَّى يُستجاب لذلك ؟! "[٦] .

ومن الأفعال النبويَّة الشريفة في هذا المجال ما حكاه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله : " أخذ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال النبي ﷺ : كِخ كِخ – ليطرحها- ثمَّ قال : أما شعرتَ أنَّا لا نأكلُ الصدقة "[٧] .

---

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الزكاة ، باب قَبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٢/٧٠٣ ، حديث (٦٥) .

(٧) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه : كتاب الزكاة ، باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل وهل يُترك الصبي فيمسّ تمر الصدقة ؟ ٢/٥٤١ ، حديث (١٤١٤) . وفيه أيضاً ، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ ٢/٥٤٢ ، حديث (١٤٢٠)- واللفظ له- . وكتاب الجهاد ، باب من تكلَّم بالفارسية والرَّطانة ٣/١١١٨ ، حديث (٢٩٠٧) .

وللتغذية بالحرام أثر في انحراف الطفل وإن لم تكن مباشرة ، قال أبو حامد الغزالي : " بل ينبغي - (يعني على الأب)- أن يراقبه من أوّل أمره ، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلاّ امرأة متديّنة تأكل الحلال ، فإنَّ اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه ، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبيث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث "[١] .

كما أنَّ انتقاء المَنْجَع يُهَذِّب الطبع ويُنير البَصيرة ، فعن عوف بن أبي جميلة الأعرابي أنَّه قال : " كان الحسن - (يعني البصري)- ابناً لجارية أم سلمة زوج النبي ﷺ ، فبعثت أم سلمة جاريتها في حاجتها فبكى الحسن بكاءً شديداً ، فرقّت عليه أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، فأخذته فوضعته في حجرها فألقمته ثديها فدرَّ عليه فشرب منه ، فكان يقال : إنَّ المبلغ الذي بلغه الحسن من الحكمة من ذلك اللبن الذي شربه من أم سلمة زوج النبي ﷺ "[٢] ، وقد وُصِفَ كلام الحسن بأنَّه يشبه كلام الأنبياء .

بل قد سما الإسلام بالأطفال الرُّضَّع سموًّا بديعاً عندما أمر النبي ﷺ بعض المرضعات يوم عاشوراء بأن لا يرضعن أولادهن إلى الليل كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ثانياً : الربط المباشر للوليد بالفطرة الإيمانية مع توسيع نطاقها وتحريك الوليد بها :

يغلب على المرحلة السابقة عدم ظهور تفاعل من قبل الوليد مع الرعاية الإيمانية المقدّمة له من قِبَل أُسرته ؛ لأنَّه لم يكن له عقل يربط بينه وبين فطرته ، لكنه في هذه المرحلة يتدرَّج في تفاعله بحسب نموّ عقله ، وكلّما ازداد عقله السويّ ازداد أنساً بفطرته ، وتأثُّراً بأنوارها ، ويظهر ذلك بعد إتمامه خمس سنين من عمره ، قال ابن الجوزي : " فإذا عبر الصبي خمس سنين بان فهمه ونشاطه في الخير ، وحسن اختياره "[٣] . وهذا النشاط

(١) إحياء علوم الدّين ٣/٧٢ .

(٢) حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ٢/١٤٧

(٣) تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر ٦٤ . ولأجل هذا استقرّ عمل أهل الحديث المتأخّرين على تصحيح سماع الصغير في هذه السن ، قال أبو عمرو بن الصلاح في علوم الحديث ١٣٠ : " فيكتبون لابن خمس فصاعدا : (سمع) ، ولمن لم يبلغ خمسا : (حضر) ، أو : (أُحضر) ، والذي ينبغي في ذلك أن تعتبر في كل صغير حاله على الخصوص " .

يتطلَّب اهتماماً من قبل الأُسرة ، وإليه نبَّه أبو حامد الغزالي بقوله : " ومهما رأى - (يعني الأب)- فيه من مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته "[٤] .

ويُتعاهَد الطفل في هذه المرحلة باللطف واللين والترغيب والتشويق ، مع الثناء والمكافأة إن أحسن ، وإلاّ استعمل معه العتاب الجميل في بعض الأحايين .

وأُقَسِّم أهمّ عناصر هذا الأساس على النحو التالي :

١- تصوير آثار الفطرة الإيمانية في سلوك الأُسرة : تُربِّي الأُسرة المؤمنة وليدها في جوٍّ مُفْعَم بالإيمان ، يشرق فيه القلب على الجوارح : فتنطق بتوحيد الله ، وتعمل بأوامر الله ، وتؤدِّي فرائض الله ، وتتلو كتاب الله ؛ فتلتقط مُخَيِّلة الطفل هذه الصورة الإيمانية السلوكية وتعرضها على الفطرة ، فتزداد الفطرة بذلك نَفْحاً وإشراقاً .

٢- تقديم الفطرة الإيمانية في قالب ذهني مناسب بواسطة الحسّ : أسبغ الله سبحانه وتعالى نعمه على خلقه ظاهرة وباطنة ، فهي ماثلة في كُلِّ ذرَّة من ذرَّات هذا الكون العظيم ، قال الله تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[١] . وجَبَل الله سبحانه وتعالى قلوب خلقه على حب من أحسن إليهم ، وأنعم عليهم .

وهذا منطلق عظيم لتقوية فطرة الصبي الإيمانية ، فيُنبّه على أنَّ طعامه الذي يأكله ، وشرابه الذي يشربه ، ولباسه الذي يلبسه ، والبيت الذي يسكنه ، وأمّه التي تحضنه ، وفمه الذي يأكل به ، وعينه التي يرى بها، ويده التي يستعملها، ورجله التي يمشي بها، بل جسمه كله من نعم الله سبحانه وتعالى ؛ وذلك تحقيقاً لقوله جلَّ شأنه : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾[٢] . ويُنبّه أيضاً على أنَّ الله خلقه ، وخلق أباه وأمّه ، وخلق النَّاس جميعاً ، وخلق كل شيء . وينبّه أيضاً على أنَّ الله صوَّره على هذه الصورة البديعة ، وجمَّل له هذا الكون البديع .

ثُمَّ يوجّه إلى أنَّ هذا المنعم المتفضّل ، والخالق العظيم ، يتحتَّم

(٤) إحياء علوم الدّين ٣/٧٢ .

(١) سورة النحل : من الآية ١٨ .

(٢) سورة النحل من الآية ٥٣ .

علينا أن نحبّه ونشكره ونوحّده ونعبده ، فإذا فعلنا ذلك عظم حبّه لنا ، ورحمته بنا .

٣- تحريك الطفل للقيام بما يستطيعه ويرغب به من موجبات الفطرة الإيمانية : يندفع الطفل إلى ذلك بالقدوة الحسنة من أسرته ، فهو في هذه المرحلة يحبّ التقليد والاتباع ، لا سيَّما تقليد والديه اللذين يقومان على رعايته . فهما مَثَله الأعلى ، فهو يقلّدهما إذا صلّيا ، ويرفع يديه للدعاء إذا دَعَوا ، وينصت لتلاوتهما القرآن إذا تلَوا ، ويسمّي الله تعالى قبل الطعام إذا سمّيا ، ويحمد الله بعده إذا حمدا ، ويتابعهما في التشهُّد والصلاة على النبي ﷺ والأذكار وسائر صنوف الخير . وعلى الأُسرة أن تقرن القدوة بما يناسب الطفل من التعليم الميسّر لبعض أحكام الطهارة والصلاة وغيرهما .

ومن توجيهات النبي ﷺ في هذا المجال : ما أدَّب به رَبيبَه قولاً وعملاً ، قال عمر بن أبي سَلَمة رضي الله عنهما : " كنت غلاماً في حَجْر رسول الله ﷺ ، وكانت يدي تطيش في الصَّحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ : يا غلام ! سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل ممَّا يليك "(٣) ، وكذلك ما جاء عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله : " كان النبي ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين ، ويقول : إنَّ أباكما كان يُعَوِّذُ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذُ بكلمات الله التامَّة ، من كل شيطان(١) وهامَّة ، ومن كل عينٍ لامَّة "(٢) .

---

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ٥/٢٠٥٦ ، حديث (٥٠٦١) - واللفظ له- . وفيه أيضا ، باب الأكل مما يليه ٥/٢٠٥٦ ، حديث (٥٠٦٢) ، (٥٠٦٣) . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ٣/١٥٩٩-١٦٠٠ ، حديث (١٠٨) ، (١٠٩) .

(١) وثمّة توجيه آخر مساعد يعصم الصبيان من شرّ الشيطان ، وهو منعهم من الحركة وقت انتشار الشياطين وتبعاتها ، وذلك في أول الليل بعد غروب الشمس - والشيطان سريع التعلُّق بمن يغفل عن ذكر الله ولا يتنزّه عن النجاسة ، وغالب الصبيان كذلك - ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنّه قال : " إذا استَجْنَح اللَّيْلُ - أو كان جُنْحَ الليل - فكفُّوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذ . فإذا ذهب ساعةً من العشاء فخلُّوهم ... " . أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه : كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ٣/١١٩٥ ، حديث (٣١٠٦) - واللفظ له- . وفيه أيضا ، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعف الجبال ٣/١٢٠٣ ، حديث (٣١٢٨) . وفيه أيضا ، باب خمس من الدوابّ فواسق يقتلن في الحرم ٣/١٢٠٥ ، حديث (٣١٣٨) . وكتاب الأشربة ، باب

وقد تابع الصحابة رضوان الله عليهم هذا الهدي النبوي الكريم، فكانوا خير قدوة بعد النبي ﷺ : فعن عمرو بن ميمون الأَوْدي أنه قال : " كان سعد - (يعني ابن أبي وقّاص رضي الله عنه)- يُعَلِّم بنيه هؤلاء الكلمات كما يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلْمان الكتابة ، ويقول : إنَّ رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ منهن دبر الصلاة : اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ منَ الجُبْن ، وأعوذُ بك أن أُردَّ إلى أرذَل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر " . فحدَّثت به مصعباً - (يعني مصعب بن سعد بن أبي وقّاص)- فصدَّقه "(٣) .

تغطية الإناء ٥/٢١٣١ ، حديث (٥٣٠٠) . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب الأشربة ، باب الأمر بتغطية الإناء ... وكفّ الصبيان والمواشي بعد المغرب ٣/١٥٩٥ ، حديث (٩٧) . وينظر حديث (٩٨) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأنبياء ، باب (يزفّون) : النَّسلان في المشي ٣/١٢٣٣ ، حديث (٣١٩١) . والهامّة هنا : كل ذات سم يقتل . وأما العين اللاّمّة فهي التي تصيب ما نظرت إليه بسوء . الأذكار للنووي ١١١ .

(٣) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه : كتاب الجهاد ، باب ما يتعوّذ به من الجُبْن ٣/١٠٣٨-١٠٣٩ ، حديث (٢٦٦٧) - واللفظ له- . وكتاب الدعوات ، باب التعوُّذ من عذاب القبر ٥/٢٣٤١ ، حديث (٦٠٠٤) ، من حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وكذلك الروايات التالية . وفيه أيضا ، باب التعوُّذ من البخل ٥/٢٣٤٢ ، حديث (٦٠٠٩) . وفيه أيضا ، باب الاستعاذة من أرذل العمر ومن فتنة الدنيا وفتنة النار ٥/٢٣٤٣-٢٣٤٤ ، حديث (٦٠١٣) . وفيه أيضا ، باب التعوُّذ من فتنة الدنيا ٥/٢٣٤٧ ، حديث (٦٠٢٧) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : مسند أبي مالك الأشعري ٥/٣٤٣ .

(٥) رواه أبو داود الطيالسي كما في مسنده : مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ٢٩٩ ، حديث (٢٢٦٢) .

وعن عبد الرحمن بن غَنْم : " أنَّ أبا مالك الأشعري جمع قومه فقال : يا معشر الأشعريين اجتمعوا واجمعوا نساءكم وأبناءكم ، أُعَلِّمكم صلاة النبي ﷺ ، صلَّى لنا بالمدينة ، فاجتمعوا وجمعوا نساءهم وأبناءهم ، فتوضأ ... قام فأذَّن فصفَّ الرجال في أدنى الصف ، وصف الولدان خلفهم ، وصف النساء خلف الولدان ، ثم أقام الصلاة فتقدَّم فرفع يديه فكبَّر..."(٤) .

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه ﷺ أنّه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول : " للصَّائم عند إفطاره دعوة مستجابة " . فكان عبد الله بن عمرو إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا "(٥) .

ومن هذا الباب أيضاً قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " كان يُعَلَّم الصبي الصلاة إذا عرف يمينه من شماله "[٦] ، وقول جندب بن أبي ثابت : "كانوا يعلِّمون الصبي الصلاة إذا عدَّ عشرين"[٧] .

وأهمّ ما يُحَرِّك الطفل للقيام به في هذه المدَّة :

(أ) اللَّهَجُ بالشَّهادتَين مع تصوُّرهما في ذهنه وقلبه : الشهادتان مفتاح الإسلام ، وشعاره ، وقاعدته ، من قالهما مصدِّقاً بهما ، وعمل بمقتضاهما حرَّمه الله على النار ، وأدخله الجنة ، فعن قتادة رحمه الله أنَّه قال : " حدثنا أنس بن مالك : أنَّ النبي ﷺ - ومعاذ رديفُه على الرَّحْل- قال : يا معاذ بن جبل . قال : لَبَّيك يا رسول الله وسَعْدَيْك ... قال : ما في أحد يَشْهَدُ أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمَّداً رسول الله صدْقاً من قلبه إلاَّ حرَّمَه الله على النار "[١] .

وإنَّ ترديد الطفل للشَّهادتين يقوِّي اعتقاده ، ويثبِّت فؤاده ، فيزداد قربه من الله ، وحبّه لله تعالى ولرسوله ﷺ الذي قرن الله اسمه باسمه ، وجعله قدوة للمهتدين . وقد رُوي عن النبي ﷺ دعوته الآباء لتنشئة أولادهم على حبّه ﷺ بقوله : " أدِّبُوا أولادكم على ثلاث خصال : حُبّ نبيِّكم ، وحُبّ آل بيته ، وقراءة القرآن "[٢] .

كما نوَّه عليه الصلاة والسلام بمن أدرك رتبة المحبة المنبثقة من الشهادة ولو بدر منه بعض التقصير، فعن ثابت رحمه الله تعالى : "عن أنس ﷺ أنَّ رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟! قال : لا شيء ، إلاَّ أنِّي أحبّ الله ورسوله ﷺ . فقال : أنت مع من أحببت . قال أنس : فما فرحْنا بشيء فَرَحَنا بقول النبي ﷺ : أنت مع من أحببت . قال أنس : فأنا أحبّ النبي ﷺ وأبا بكر

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال : باب تعليم الصبيان الصلاة ١/٤٧٢ .

(٧) المصدر السابق ١/٤٧٣ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العلم ، باب من خصّ بالعلم قوما دون قوم ... إلخ ١/٥٩-٦٠ ، حديث (١٢٨) .

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الكبير ١/٢٩ ، وقال : " أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي في فوائده ، والديلمي ، وابن النجّار في تاريخه عن علي " ، يعني أنهم رووْه . وكذلك فعل في الجامع الصغير ١/٢٥ . وقال العلاّمة المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/٢٢٦ : " وهو ضعيف " .

وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبِّي إيَّاهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم"[٣] .

(ب) حفظ ما تيسَّر من القرآن الكريم : القرآن كتاب الله تعالى وكلامه ، ونوره وبرهانه . ويُبدأ الطفل بحفظ ما يناسبه من قصار سوره : كسورة الإخلاص ، والمعوِّذتين ، وكذلك الفاتحة ، وآية الكرسي ؛ ليجعلها كلها وِرداً دائماً ، وعَوذاً آمناً . ويوجه أيضاً إلى استظهار ختام سورة البقرة استجابة للأمر النبوي الشريف ، فعن جُبَير بن نُفَير بن مالك الحَضْرَمي المخضرم : أنَّ رسول الله ﷺ قال : " إنَّ الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش ، فتعلَّموهن وعلِّموهنَّ نساءكم وأبناءكم ، فإنَّهما صلاة وقرآن ودعاء "[٤] .

ثُمَّ يُعَلَّم بعض السور الحافظة - وكل القرآن حافظ - كسورة المُلْك ، فقد رُوِي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه " قال لرجل : ألا أطرفك بحديث تفرح به ؟ قال الرجل : بلى يا ابن عباس ... قال : اقرأ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ ، احفظها وعلِّمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنَّها المُنجية ، وهي المجادلة تجادل وتخاصم يوم القيامة عند ربِّها لقارئها وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من النار إذا

(٣) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه : كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ٣/١٣٤٩ ، حديث (٣٤٨٥) - واللفظ له- . وكتاب الأدب ، باب ما جاء في قول الرجل : (ويلك) ٥/٢٢٨٢ ، حديث (٥٨١٥) . وفيه أيضا : باب علامة الحب في الله عزّ وجلّ ٥/٢٢٨٣ ، حديث (٥٨١٩) . وكتاب الأحكام ، باب القضاء والفتيا في الطريق ٦/٢٦١٥ ، حديث (٦٧٣٤) . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب البرّ والصِّلة والآداب ، باب المرء مع من أحب ٤/٢٠٣٢-٢٠٣٣ ، حديث (١٦١)-(١٦٤) .

(٤) أخرجه أبو عبد الله الحاكم في مستدركه : كتاب فضائل القرآن ، باب آيتان من آخر سورة البقرة لا تقرآن في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال ١/٥٦٢-٥٦٣ موصولاً - من رواية جُبير عن أبي ذر ﷺ ، عن النبي ﷺ - ومرسلاً ، وعلق على المتّصل بقوله : " هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه " ، لكن لم يَسلَم له في جميعه ، واللفظ المذكور أعلاه للحاكم . وأخرجه مرسلا أيضا أبو عبيد القاسم بن سلاّم في كتابه فضائل القرآن : باب فضل سورة البقرة وخواتيمها وآية الكرسي ٢/٣٨-٣٩ ، حديث (٤٢٨) . وقد رواه أيضا أبو محمد الدارمي في مسنده (السنن) : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل أوّل سورة البقرة وآية الكرسي ٢/٩٠٧ ، حديث (٣٢٦٧) مرسلا دون كلمة : (وأبناءكم) .

٥٢٠ كانت في جوفه ، وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر "[١] .

وإذا مُكن الطفل من حفظ القرآن كله في مرحلة الطفولة حُفَّ بأنوار الله القدسية ، وكان القرآن له حرزاً وذُخْراً وخيراً عظيماً ، قال رسول الله ﷺ - فيما رواه عثمان بن عفَّان رضي الله عنه - : " خيركم من تَعَلَّم القرآن وعلَّمه "[٢] ، وقال عبد الله بن عيسى - ولعلَّه ابن أبي ليلى - : " لا تزال هذه الأُمَّة بخير ما تعلَّم ولدانها القرآن "[٣] .

ومن تأمَّل سيرة السلف في تعليمهم القرآن لأولادهم رأى حرصاً عجيباً ، واهتماماً شديداً ، لما في ذلك من ترسيخ الاعتقاد ، وصَقْل القلوب بالإيمان ، قال العلاَّمة ابن خَلْدون : " اعلم أنَّ تعليم الولدان للقرآن : شعار الدِّين ، أخذ به أهل الملَّة ، ودَرَجوا عليه في جميع أمصارهم ؛ لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعدُ من المَلَكات ، وسبب ذلك أنَّ التعليم في الصِّغَر أشدّ رسوخاً ، وهو أصل لما بعده "[٤] .

ولم يكونوا يوجِّهون أطفالهم وجهة الحفظ الرَّاتب إلاَّ بعد أن يأنسوا منهم ميلاً إليه ، خشية وقوعهم في الملل ، وركونهم إلى الكسل ، قال ابن كثير : " وقد استحبَّ بعض السلف أن يُترك الصبي في ابتداء عمره قليلاً للعب ؛ ثم تُوفَر همَّته على القراءة ، لئلاَّ يُلزم أوَّلاً بالقراءة فيملَّها ويعدل عنها إلى اللعب . وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له ، ولكن يُترك حتى إذا عقل وميِّز عُلِّم قليلاً بحسب همَّته ونَهْمته وحفظه وجودة ذهنه "[٥] .

---

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (المنتخب) : مسند ابن عباس ٢٠٦-٢٠٧ ، حديث (٦٠٣) . وفي سنده إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني ، وهو : " ضعيف ، وصل مراسيل " كما في تقريب التهذيب ٨٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه ١٩١٩/٤ ، حديث (٤٧٣٩) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال : باب تعليم [illegible] ٤٨٠/١ .

(٤) مقدمة تاريخ ابن خلدون ٥٣٧/١-٥٣٨ .

(٥) فضائل القرآن ١٥١ .

ثالثاً : تدريب الطفل وترويضه على مقتضيات الفطرة الإيمانية الموسعة وصَقْله بها :

إذا أتمَّ الطفل سبع سنين من عمره دخل في سن التمييز ، ومنهم من يُمَيِّز قبل ذلك[٦] . ولهذه المرحلة متطلَّبات إيمانية تناسبها ، ويتعيَّن على الأُسرة تسليك الطفل عليها .

ففي المرحلة السابقة أُسِّس الجَذْر الرئيس للقاعدة الإيمانية وهو الإيمان بالله تعالى ، وذلك بأنَّه سبحانه هو الرب الخالق الرازق المنعم ، وأنه الإله المعبود المتفرِّد في ربوبيته وألوهيَّته . كما أُسِّس فيها الجانب الأعظم من ركن الإيمان بالكتب ، وركن الإيمان بالرسل ، وهما الإيمان بالقرآن الكريم والإيمان برسول الله ﷺ . وعُوِّد الطفل على محبَّة الله تعالى مصدر كل خير ، ومحبَّة كتابه المجيد ، ومحبَّة رسوله ﷺ . وحُبِّب إليه ترديد الشهادتين ، والقيامُ بالصلاة التي تواظب أسرته عليها ، والدُّعاءُ والذكر .

٥٢١ وأمَّا الرعاية في هذه المرحلة الجديدة فتستدعي العمل في مجالين ، هما : إكمال ما أُسِّس من أركان الإيمان والإسلام ، والتوسُّع في القاعدة الإيمانية .

١- إكمال ما أُسِّس من أركان الإيمان والإسلام : يُصار في هذه المرحلة إلى تعميق الإيمان وترسيخه في قلب الطفل .

فبعد أن يُنَبَّه إلى ربوبية الله سبحانه من خلال الإحساس بالجزئيات كالطعام والشراب ، والأُم والأَب ، ونحو ذلك ، صار يُرَقَّى من المحسوس إلى نوع من المعقول ، ويُتدرج به من الجزئيات إلى ما يَجْمع بينها فَيُحْمَلُ له على سبيل المثال معنى قول الله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾[١] .

وبعد أن كان يحبّ الله لما يغذوه من نعمه المحسوسة ، أضاف إليه حبّه له لأنَّه غذاه بنعمة الإيمان ؛

---

(٦) تحفة المودود بأحكام المولود ٢٣١ .

(١) سورة عبس : الآيات ٢٤-٣٢ .

٥٢٢ فصار كتاب الله ربيع قلبه ، ونور بصره ، يواظب على تلاوته بتدبُّر وخشوع ، ويستزيد من حفظه ، وفهم معانيه ، ويؤمن أيضاً بالكتب السماوية الأُخرى . وكان يعرف من أسماء الله تعالى وصفاته ما يتعلَّق بالخلق والرزق والرحمة ونحوها ، فازدادت معرفته بربّه ، وعرف من أسمائه ما يدلّ على القدرة والعزّة والعظمة ونحو ذلك ممَّا يخشع له القلب كما في قوله تعالى : ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٢] ، ومن خلال ما توحيه هذه الآية مما يناسب هذه المرحلة تنطلق وصية لقمان لابنه بتحذيره من الشرك وتعظيمه لقدرة الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٣] ، ثم : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[٤] .

(٢) سورة الحشر : من الآية ٢٣ .

(٣) سورة لقمان : الآية ١٣ .

(٤) السورة السابقة : الآية ١٦ .

وكان الطفل في مرحلته السابقة يحبّ رسول الله ﷺ كثيراً ، لكنه صار يحبّه أكثر من حبّه لأُمّه وأبيه ؛ تحقيقاً لقول النبي ﷺ - فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه - : " لا يُؤمنُ أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين "[١] . وصار يحرص على تعلم سيرته العطرة ، وسيرة آل بيته الأطهار وصحابته الأخيار رضوان الله عليهم أجمعين ، الذين بحبّه ﷺ أحبَّهم ، هذا مع التوجُّه إلى حفظ ما يناسبه من حديثه ﷺ .

ويوجه الطفل في هذه المرحلة أيضاً إلى الإيمان بجميع رسل الله تعالى .

وكان يُحرَّك من قبلُ للقيام بما يرغب به من موجبات الفطرة ، فصار في هذه المرحلة يؤمر بالالتزام ؛ لأنَّ القلب خشع ، ومن خشع قلبه صار أهلاً لحمل الأوامر ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١/١٤ ، حديث (١٥) . ومسلم في صحيحه أيضا : كتاب الإيمان ، باب وجوب محبّة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد .. إلخ ١/٦٧ ، حديث (٦٩) ، (٧٠) - واللفظ للأخير - .

ومن هنا عقّب لقمان وصيَّته السابقة بهذه الوصية:﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾[٢]

ولما كان نبينا ﷺ قد أُوتي الحكمة وجوامع الكلم ؛ فإنه أجمل لنا عمل هذه المَنْقَلة من مَناقل الطفولة بحديثه العظيم الذي سَبَر فيه غَوْرها ، ورسم به واجبها ، فقال - فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما - : " مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبعِ سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع "[٣] .

وهذا يقتضي وجوب مراقبة الطفل في هذه السنّ لتذكيره الدائم بالصلاة ، وترغيبه بأدائها ، وتشجيعه عليها ، وتحذيره من التهاون بها ، قال أبو حامد الغزالي : " ومهما بلغ سنّ التمييز ، فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ، ويُجنب لبس الديباج والحرير والذهب ،

(٢) سورة لقمان : من الآية ١٧ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ١/٣٨٥ ، حديث (٤٩٦) . وله شاهد عنده أيضا وعند غيره من أصحاب السنن .

٥٢٣ ويُعلّم كل ما يحتاجُ إليه من حدود الشرع ، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ، ومن الخيانة والكذب والفحش ، وكل ما يغلب على الصبيان "[٤] .

وسن التمييز لا يتأخَّر عند عامة الأولاد عن سبع سنين ، لذا جعلها النبي ﷺ حدًّا ، وأما من دخل في هذه السن قبل ذلك فإنه يؤمر أيضاً بالصلاة - وإن كان ثَمَّة فرق بين الأمرين - ، فعن هشام بن عُروة عن أبيه رحمهما الله تعالى : " أنه كان يأمر بَنيه بالصيام إذا أطاقوه ، وبالصلاة إذا عَقَلوا "[٥] .

وقد خصَّ النبي ﷺ في حديثه السابق الصلاة بالذكر لأنها شعارُ الدِّين ، وأعظم مظاهر الإيمان ، وعمودُ الإسلام ، وألصق العبادات بالمسلم ، وأدومها له ، وهي معراجه المتجدد ، ونُقاوة عمله ، فمن حفظها كان لغيرها أحفظ . وبهذا ندرك سرًّا من أسرار تأكيد الشارع عليها أكثر من غيرها ، كما في قول الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ

(٤) إحياء علوم الدّين ٣/٧٣-٧٤ .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال : باب تعليم الصبيان الصلاة ١/٤٧٠ .

بالصَّلاة وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾[١] . وإذا درَج الطفل عليها قَرَّت بقلبه ، ولانت على جوارحه ، قال عبد الله بن مسعود ﷺ : " حافظوا على أبنائكم في الصلاة ، وعَوِّدوهم الخير ، فإنَّ الخير عادة "[٢] .

وإنَّ أمْر الطفل بالصلاة يستدعي التوسُّع في تعريفه بأحكامها وأحكام الطهارة أكثر من ذي قبل ، كما يستدعي ترويضه على ارتياد المساجد للجمعة والجماعات .

ولا يفوتني التنبيه هنا إلى أنَّ من سنَّته ﷺ تعويد الطفل على الصيام أيضاً ، فعن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ الأنصارية رضي الله عنهما أنَّها قالت : " أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : من أصبح مفطراً فَلْيُتِمَّ بقيَّة يومه، ومن أصبح صائماً فَلْيَصُم . قالت : فكُنَّا نصومُهُ بعدُ، ونُصَوِّمُ صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العِهْن ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار "[٣] . وقدَّم البخاري لهذا الحديث بقوله: " وقال عمر ﷺ لِنَشْوَانَ- (أي لسكران)- في رمضان : وَيْلَكَ ، وصبياننا صيام ! فضربه "[٤] .

بل إنَّ النبي ﷺ لم يَحْرم الطفولة الأُولى من بركة هذه العبادة العظيمة - وإن لم تعقلها- ، قال ابن حجر : " وأبلغ من ذلك ما جاء في حديث رزينة ... أنَّ النبي ﷺ كان يأمر برضعائه في عاشوراء ، ورضعاء فاطمة ، فيتفل في أفواههم ، ويأمر أمَّهاتهم أن لا يُرضعن إلى الليل . أخرجه ابن خزيمة[٥] وتوقف في صحَّته ، وإسناده لا بأس به "[٦] .

---

(١) سورة طه : من الآية ١٣٢ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : مسند ابن مسعود ٢٣٦/٩ ، حديث (٩١٥٥) - واللفظ له- . والبيهقي في السنن الكبرى : كتاب الصلاة ، باب ما على الآباء والأمَّهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة ٨٤/٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الصوم ، باب صوم الصبيان ٦٩٢/٢-٦٩٣ ، حديث (١٨٥٩) - واللفظ له- . ومسلم في صحيحه أيضا : كتاب الصيام ، باب من أكل في عاشوراء فليكف بقية يومه ٧٩٨/٢-٧٩٩ ، حديث (١٣٦) ، (١٣٧) .

(٤) علَّقه البخاري في صحيحه : كتاب الصوم ، باب صوم الصبيان ٦٩٢/٢ . وينظر تخريجه في فتح الباري ٢٠١/٤ .

(٥) في صحيحه : كتاب الصيام ، جماع أبواب صوم التطوُّع ، باب استحباب ترك الأمَّهات إرضاع الأطفال يوم عاشوراء تعظيما ليوم عاشوراء - إن صحَّ الخبر- ٢٨٨/٣-٢٨٩ ، حديث (٢٠٨٩) ، (٢٠٩٠) .

(٦) فتح الباري ٢٠١/٤ . وقد تصرَّف ابن حجر في لفظ الحديث .

وقد قاس بعض العلماء أمر الصبي بالصيام على حديث : " مروا أولادكم بالصلاة ... "[٧] . قال ابن حجر في شرحه لحديث الرُّبَيِّع وعمر رضي الله عنهما : " والجمهور على أنه لا يجب -(يعني صيام رمضان)- على مَن دون البلوغ ، واستحبَّ جماعة من السلف - منهم ابن سيرين والزهري ، وقال به الشافعي- : أنَّهم يؤمرون به للتمرين عليه إذا أطاقوه ، وَحَدَّه أصحابه بالسبع والعشر كالصلاة ، وحدَّه إسحاق باثنتي عشرة سنة ، وأحمد في رواية بعشر سنين..."[١] .

كما رغَّب النبي ﷺ في حمل الأطفال إلى الحج ، فعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنَّه: "لقي رَكْباً بالرَّوحاء ... فَرَفَعَتْ إليه امرأةٌ صبياً، فقالت: ألهذا حَجٌّ ؟ قال : نعم ، ولك أجر"[٢]. وقال سفيان بن عيينة : " قيل لمحمد بن المنكدر : أنَحُجُّ بالصبيان ؟ قال : نعم ، اعْرِضْهُم على الله عزَّ وجلَّ "[٣] ، فيا له من جواب !! وإنَّه لمقتبس من مشكاة النبوَّة .

٢- التوسُّع في القاعدة الإيمانية : ألمحت من قبل إلى أنَّ هذه المرحلة تتَّسم بالخشوع ، واستظهار عظمة الله تعالى وقدرته ، وأنه واحد لا ندَّ له ولا شريك ، أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وأمر الناس بعبادته ، وحذَّرهم من مخالفة أمره . ولا يتمكَّن هذا الخشوع في قلب الطفل حتى تُضاف إليه غِراس جديدة من غراس الإيمان، وهي الإيمان بالملائكة والإيمان باليوم الآخر .

(أ) رعاية الطفل بالإيمان بالملائكة : لا بدَّ أنَّه وقع ذكر الملائكة في سمع الطفل عند تلاوته للقرآن في المرحلة السابقة ، ويُعَرَّف في هذه المرحلة بهم ، فهم مخلوقات نورانية غيبية ، لا يعلم عددهم إلاَّ الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾[٤] . وهم مفطورون على طاعة الله تعالى وتسبيحه ، ومقرَّبون منه سبحانه

---

(٧) تقدم تخريجه ص ٢١ .

(١) فتح الباري ٢٠٠/٤ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الحج ، باب صحَّة حجِّ الصبي وأجر من حجَّ به ٩٧٤/٢ ، حديث (٤٠٩) ، (٤١٠) ، (٤١١) - واللفظ للأول- .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال : باب الحج بالصبيان ٨٥١/٢ .

(٤) سورة المدَّثر : من الآية ٣١ .

ويعملون بأمره . ومن أفضلهم جبريل عليه السلام رسول الوحي إلى أنبياء الله تعالى ، وهو الذي نزل بالقرآن على نبينا ﷺ .

فإذا علم الطفل بذلك ازداد خشوعه لله رب العالمين ، وغمره حب هؤلاء الملائكة الكرام الذين يُسبِّحون بحمد ربهم وهم بأمره يعملون ، وودَّ أن يكون مثلهم .

(ب) رعاية الطفل بالإيمان باليوم الآخر : إنَّ هذه المرحلة التي يؤمر فيها الطفل بالتدرُّب على إقامة بعض الشعائر الإيمانية تتطلَّب – مع ما تقدَّم– وعداً ووعيداً ، يمنعان من التقصير والإهمال .

وإذا غُرس في قلب الطفل الإيمان باليوم الآخر ، وما فيه من الجزاء العادل ، والجنَّة والنَّار ، اندفع إلى العمل الصالح بجدّ ونشاط ، يَحْدوه الأمل بربه إلى جنَّة الله الواسعة ، ويحمله خوف الله تعالى على تجنُّب المخالفة والتقصير ، مستشعراً ذلك كله في قوله سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾[٥] ، وقوله أيضاً : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى ﴾[٦] .

رابعاً (وهو الأخير) : تحقيق التزكية الإيمانية القائمة على الفطرة الموسعة ومقتضياتها :

لاحظنا في المرحلة السابقة أنَّ دخول الطفل في سن التمييز تطلب منه الخشوعَ إجلالاً لعظمة الله تعالى ، والإذعانَ رهبةً من عذاب الله ؛ لأنَّه في طور التربية الملكية . وقد كان في التي قبلها يأنس بالتربية الإنعامية ، وهو في هذا المقام الأخير يسمو بهما معاً ليشهد نفحات التربية الإلهية .

ولعلِّي لا أجانب الصواب إن قرأت هذه الأطوار الثلاثة في قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ ﴾[١] ، بل لعلِّي أجدها أيضاً في قوله – سبحانه– : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ

(٥) سورة الزلزلة : الآيتان ٧-٨ .

(٦) سورة طه : الآيات ٧٤-٧٦ .

(١) سورة الناس : الآيات ١-٣ .

وإرادته "[٣] . ويؤمر بالإيمان به ، وتبين له آثاره المحمودة ، وثماره الطيِّبة ، فمن آمن به عظم حبّه لربّه ، وطاعته له ، وتوكله عليه ، لأنَّه سبحانه هو المعطي المانع ؛ واندفع بإيمانه إلى العمل ، وزال عنه الهم والحزن .

وقد أرشد النبي ﷺ النَّاس إلى هذا الإيمان ، كما أوصى به الغلمان ، مقوِّياً بذلك شكيمتهم ، ومحققاً لهم الرتبة المنيفة التي يتطلَّعون إليها في هذه المرحلة ، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما : " كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال : يا غلام ، إني أُعلِّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعَت الأقلام ، وجفَّت الصُّحف "[٤] .

منْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[٢] ، وذلك بالتماح الطور الأول في التنزيل الأحسن المتآلف المُحرِّك ، والتماع الثاني في القُشعريرة ، ويتمثَّل الأخير باللين والطمأنينة والهُدى .

ويمكن على ضوء ما تقدَّم تسمية هذا المقام الأخير بالتألُّه ، وهو جامع بين الرغبة والرهبة ، والرجاء والخوف ، والقرب والعظمة ، وفيه إكمال لما أُسِّس من أركان الإيمان والإسلام في المرحلة السابقة، وتوسعٌ في القاعدة الإيمانية ، وزيادة سمو . هذا ، ولا شكَّ أنَّ تألُّه الطفل ليس كتألُّه الكبير ، فلكل معياره .

ورعاية الطفل إيمانيًّا في هذه المرحلة تؤسَّس على النحو التالي :

١- الإيمان بالقدَر – استكمالاً للقاعدة الإيمانية– : يُلقى في رُوع الطفل معنى القدَر بالإجمال ، وقد فسَّره ابن حجر بقوله : " والمراد أنَّ الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد ، فكل مُحْدَث صادرٌ عن علمه وقدرته

(٢) سورة الزُّمر : الآية ٢٣ .

(٣) فتح الباري ١١٨/١ .

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه : كتاب صفة القيامة ، باب (٥٩) ، ٦٦٧/٤ ، حديث (٢٥١٦) . وقال عقبه : " هذا حديث حسن صحيح " . وله سياقة أخرى أخرجها أبو عبد الله الحاكم في المستدرك : كتاب معرفة الصحابة ، باب تعليم النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما ٥٤١/٣-٥٤٢ .

٥٢٠ فهذه معالم بيّنات ، وكنوز في كلمات ! . ومن أسرارها في هذه المرحلة أن يُحكم ربط الطفل بربه خشية أن يقع في خلده أنَّ سعده بيد والديه أو غيرهما . ويُعلّم فيها أيضاً من أسماء الله تعالى ما يقوّي هذا الإيمان : كالقابض والباسط ، والخافض والرَّافع ، والمُعزّ والمُذلّ ، والمُقدِّم والمُؤخِّر ، والضَّارّ والنَّافع .

٢ – مراقبة الله تعالى : يُحقّق هذا الجانب العظيم في قلب الطفل ضمن هذه المرحلة بأمور ، أهمّها :

(أ) إشعاره بأسماء الله تعالى الدالّة على المراقبة : كالسَّميع ، والبصير ، والرَّقيب ، والشَّهيد ، والعليم ، والخبير ، واللَّطيف .

وقد زخر القرآن الكريم بتقوية هذا المعنى ، من ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[١] ، وقوله أيضاً : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً ﴾[٢] ، وقوله أيضاً : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴾[٣] ، وقوله أيضاً : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[٤] .

(ب) توسيع نطاق إيمانه بالملائكة : وذلك من خلال تعريفه بأحوالهم التفصيلية ، ووظائفهم المتنوعة ، لاسيَّما من كان منهم موكّلاً بحفظ أعمال الناس وكتابتها كما في قول الله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٥] .

(ج) توسيع نطاق إيمانه باليوم الآخر : وذلك باستعراض مقدّماته ومنازله ، بدءاً بالموت ، ومروراً بالقبر وما يجري فيه ، وذكراً لعلامات الساعة وقيامها ، وانتقالاً إلى البعث وما يتبعه حتى يدخل أهل الجنَّة الجنَّة وأهل النَّار النَّار . ويُوقف الطفل هنا على حال الحساب ، إذ يدين الله الناس بأعمالهم ،

(١) سورة يونس : الآية ٦١ .

(٢) سورة الأحزاب : من الآية ٥٢ .

(٣) سورة النساء : من الآية ٣٣ .

(٤) سورة غافر : الآية ١٩ .

(٥) سورة (ق) : الآيتان ١٧–١٨ .

ويُظهر كلَّ خفاياهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[٦] .

وعندما يستشعر الطفل أنَّ الله سبحانه وتعالى يراقب حركاته وسكناته ، وسرّه وجهره ، وسائر أحواله ، يُخلص العمل لله تعالى ، ويتجنَّب كل ما يسخطه سبحانه .

ومقام المراقبة هو مقام الإحسان الذي قال فيه النبي ﷺ – لما سأله جبريل عنه – : " أن تعبد الله كأنَّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك "[٧] . ويتضمَّن هذا المقام تقديم الله ورسوله ﷺ في كل شيء وعلى كل شيء ؛ تحقيقاً لقول النبي ﷺ – فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه – : " ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه ممَّا سواهما.. "[١] .

(٦) سورة الأنبياء : الآية ٤٧ .

(٧) تقدم تخريجه ص ٤ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ١/١٤ ، حديث (١٦) – واللفظ له – . وفيه أيضا ، باب من كره أن يعود في الكفر .. إلخ ١/١٦ ، حديث (٢١) . وكتاب الأدب ، باب الحبّ في الله ٥/٢٢٤٦ ، حديث (٥٦٩٤) .

ومن بلغ تلك الدرجة كان ٥٢٩ في كَنَف الله تعالى وحفظه ومعيَّته ، وفيه يقول النبي ﷺ : " احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك "[٢] .

وبهذه الفقْرة والتي قبلها يسمو الطفل بقلبه وعقله ، ويعرف أسراراً غيبية كان يجهلها ؛ وهذا ما ينبغي أن يتحقَّق قبل الدخول في سنّ البلوغ ، وإليه أشار أبو حامد الغزالي بقوله : " ومهما بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ... ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويُخوف من السرقة وأكل الحرام ... فإذا وقع نشوءُه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكر له أنَّ الأطعمة أدوية ، وأنَّما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عزَّ وجلّ ، وأنَّ الدنيا كلها لا أصل

وكتاب الإكراه ، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ٦/٢٥٤٦ ، حديث (٦٥٤٢) – وهو على اللفظ الأول أيضا – . وأخرجه مسلم في صحيحه أيضا : كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتَّصف بهن وجد حلاوة الإيمان ١/٦٦ ، حديث (٦٧) ، (٦٨) .

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٤ .

٥٣٠ لها إذ لا بقاء لهـا ، وأنَّ المـوت يقطع نعيمها، وأنَّها دار ممرّ لا دار مقرّ ، وأنَّ الآخرة دار مقـرّ لا دار ممرّ ، وأنَّ الموت منتظر فـي كـل ساعة ، وأنَّ الكَيِّس العاقل مَن تزوَّد من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجتـه عند الله تعالى ، ويتَّسع نعيمه فـي الجنان . فإذا كان النشـوء صـالحاً كان هذا الكلام عند البلـوغ واقعـاً مؤثّراً ناجعاً ، يثبت في قلبـه كمـا يثبت النقش في الحجر "[٣] .

وينبغي أن تمر هـذه المرحلـة الأخيرة من مراحل الطفولة دون أن تكتمل مبادئ عقيـدة أهـل السُّـنَّة والجماعة في ذهن الطفـل ، ولـو حُفِّظ وريقات مختصرة فيها مما أُلِّف للأطفال لكان أجدى وأنفع . وقـد لا يدرك الطفل بعض معاني ما يحفظه لاسيَّما إذا بدأ بالحفظ في سن مبكرة ، وهذا لا يضر ؛ لأنَّ الحفظ يكـون قبل الفهم ، والفهم قبل الاعتقـاد . وممَّا ييسِّر الفهم ويقوِّي الاعتقـاد قيام الطفل بتلاوة القـرآن الكـريم وقراءة الحديث النبـوي الشـريف وأداء العبادات وغير ذلك ممَّا ينمِّي الفطرة الإيمانية الراسخة في نفسه .

(٣) إحياء علوم الدين ٣/٧٣-٧٤ .

وفي ذلك كله يقول أبـو حامـد الغزالي : " اعلم أنَّ ما ذكرناه فـي ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدَّم إلـى الصبي في أول نُشُوِّه ليحفظه حفظاً ، ثمَّ لا يزال ينكشف له معنـاه فـي كبَره شيئاً فشيئاً ، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به ، وذلك ممَّا يحصل في الصـبي بغير برهان .

فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه فـي أول نُشُوِّه للإيمان من غير حاجة إلـى حجة وبرهان ، وكيف ينكر ذلك وجميـع عقائد العوام مباديها التلقين المجرَّد والتقليـد المحـض ؟ نعـم يكـون الاعتقاد الحاصل بمجـرَّد التقليـد ، غير خال عن نوع من الضعف فـي الابتداء ، على معنى أنَّه يقبل الإزالة بنقيضه لو أُلقي إليه ، فلا بـدَّ مـن تقويته وإثباته فـي نفـس الطفـل والعامي حتى يترسَّخ ولا يتزلزل .

وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلَّم صنعة الجَدَل والكـلام، بـل يشتغل بتلاوة القـرآن وتفسـيره ، وقراءة الحديث وشرحه ، ويشـتغل بوظائف العبادات ، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يَقْرَع سمعه مـن أدلة القرآن وحُججه ، وبمـا يـرد

عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها ، وبما يسـطع عليـه مـن أنـوار العبادات ووظائفها ، وبمـا يسـري إليـه مـن مشـاهدة الصـالحين ومجالستهم وسـيماهُم وسـماعهم وهيئاتهم في الخضوع لله عزَّ وجـلَّ والخوف منه والاسـتكانة لـه ، فيكون أوَّل التلقين كإلقاء بَذْر في الصدر ، وتكون هـذه الأسـباب كالسقي والتربية له حتـى ينمـو ذلك البَذْر ويقوى ويرتفع شـجرة طيِّبـة راسـخة ،أصـلها ثابـت وفرعها في السماء"[١] .

٣- إيقاع العقاب التـأديبي فـي حال التقصير : تدرَّج الشارع الحكيم في تربية الطفل وتأديبـه وتزكيتـه على أُسس قويمـة تحقِّق الغايـة المطلوبة . لكن من لم ينفعه التأليف والترغيب والترهيب والإقناع ، مـع انعدام الموانع ، وجب على أسـرته أن تؤدِّبه بالضرب – لأنَّ آخر الدواء الكيّ- استجابة لتوجيه النبي ﷺ : " مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبنـاءُ سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر "[٢] .

(١) إحياء علوم الدين ١/٩٤ .

(٢) تقدم تخريجه ص ٢١ .

ولابن القيِّم توضيح لهـذه المسألة إذ قال : " فإذا صـار ابـن عشر ازداد قوَّة وعقـلاً واحتمـالاً للعبادات ، فيضرب على ترك الصلاة كما أمر به النبي ﷺ ، وهذا ضرب تأديب وتمرين . وعند بلوغ العشـر يتجدَّد له حال أخرى يقـوى فيهـا تمييزه ومعرفته ، ولذلك ذهب كثير من الفقهاء إلى وجوب الإيمان عليه في هذه الحال ، وأنه يعاقـب علـى تركه ... وهو قول قوي جداً ، وإن رُفع عنه قلم التكليف بالفروع ، فإنَّه قد أُعطي آلة معرفة الصانع والإقرار بتوحيده وصدق رسله ... "[٣] .

ولا يجوز تجاوز الحد في الضرب المأمور به ؛ لأنَّه للتأديب والتمرين كما تقدَّم ، وقد قـال أبـو الحسـن القابسي : " إنما السبيل في أدب من يريد صلاحه أن يؤدِّبـه فـي غير عَطَب ولا حَمِيَّة ، إذ هو ليس علـى باب العداوة "[٤] .

* * *

(٣) تحفة المودود بأحكام المولود ٢٣٤ .

(٤) الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين ١٧٥ .

تنويه بالعاقبة

إنَّ الطفل الذي أفلحت فيه تلك الرعاية في جميع مراحله ، يكون أهلاً لتحقيق الغاية التي خلق الله الناس من أجلها : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] .

وبعد اكتمال السُّلَّم الطفولي يقف ذاك الغلامُ على أعتاب الرجولة ، مُوَدِّعاً مرحلة الطفولة ، ولسان حاله يقول :

وإذا رأيتَ من الهلال نُمُوَّهُ
أيْقَنتَ أن سيصيرُ بدراً كاملاً

وعندها يصبح مختاراً بعد أن كان مُخَيَّراً ، ورافعاً نبراس التوفيق والهداية الذي في قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ ... ﴾[٢] . كما يصير مكلفاً وراعياً ، ومسئولاً ، وداعياً ، وحاملاً للأمانة العظيمة التي قال الله فيها : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ ... ﴾[٣] .

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) سورة الأنعام : الآيتان ١٦٢-١٦٣ .

(٣) سورة الأحزاب : من الآية ٧٢ .

وهنيئاً للأسرة المؤمنة الربَّانية التي صبرت على تشييد هذا الصرح العظيم امتثالاً واحتساباً ، ولْتَسْعَدْ بتلك الدعوة المباركة التي أرشد القرآن الأبناء إليها : ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾[٤] .

ولتسعد أيضاً بوعد الله الحق في قوله الحق : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[٥] .

تمَّ البحث بعون الله تعالى وتوفيقه

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(٤) سورة الإسراء : من الآية ٢٤ .

(٥) سورة الرعد : الآيتان ٢٣-٢٤ .

فهرس المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدِّين : لأبي حامد الغزالي ، دار المعرفة ببيروت .

٢- الأذكار : للنووي ، تحقيق عبد القادر الأرناءوط ، دار الملاح بدمشق ، ١٣٩١هـ .

٣- تاج العروس من جواهر القاموس : للزَّبيدي ، دار مكتبة الحياة ببيروت .

* وكذلك طبعة وزارة الإعلام بالكويت ، (جـ١٠) ، تحقيق إبراهيم الترزي .

٤- تحفة المودود بأحكام المولود : لابن قَيِّم الجوزية ، بعناية بسام الجابي ، دار البشائر الإسلامية ببيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ .

٥- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : دار الفكر ببيروت ، ١٤٠٨هـ .

٦- تقريب التهذيب : لابن حجر ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد بحلب ، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ .

٧- تنبيه النَّائم الغَمْر على مواسم العُمْر : لابن الجوزي ، تحقيق عرفة عبَّاس ، دار الحديث بالقاهرة .

٨- تهذيب اللغة : لأبي منصور الأزهري ، (جـ١٣) ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٩- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير : للسيوطي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

١٠- الجامع الكبير (جمع الجوامع) : للسيوطي ، مصوَّر عن مخطوطة دار الكتب المصرية ، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب .

١١- الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة

الصحيح والمعطول وما عليه العمل : للترمذي ، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض ، ضمن موسوعة السُّنَّة ، دار الدعوة بإستنبول ودار سحنون بتونس ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ .

١٢- حجَّة الله البالغة : لوليّ الله بن عبد الرحيم الدهلوي ، دار التراث بالقاهرة ، ١٣٥٥هـ .

١٣- الحِكَم : لابن عطاء السَّكندري ، تحقيق أحمد عز الدِّين خلف الله ، المكتبة الأزهرية بالقاهرة .

١٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لأبي نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

١٥- الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلِّمين وأحكام المعلِّمين والمتعلِّمين : لأبي الحسن القابسي ، تحقيق أحمد خالد ، الشركة التونسية للتوزيع بتونس ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

١٦- سبل السَّلام شرح بلوغ المرام من أدلَّة الأحكام : للصنعاني ، (جـ٤) ، تحقيق محمد أبو الفتح البيانوني وخليل إبراهيم مُلاّ خاطر ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ .

١٧- السنن الكبرى : للبيهقي ، دار المعرفة ببيروت ١٤١٣هـ .

١٨- السنن : لأبي داود ، تحقيق محمد عوّامة ، دار القبلة بجُدَّة ومؤسسة الريان ببيروت والمكتبة المكية ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

١٩- السنن : لابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء

٢٠- سياسة الصبيان وتدبيرهم : لابن الجزَّار القَيْرَواني ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ببيروت ، الطبعة الثانية .

٢١- شعب الإيمان : للبيهقي ، تحقيق محمد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٢٢- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر .

٢٣- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيّامه) : بعناية مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار اليمامة بدمشق ، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ .

٢٤- صحيح ابن خزيمة (المسند الصحيح المتّصل بنقل العدل عن العدل من غير قطع في السند ولا جرح في النقلة) : تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ببيروت ، ١٤٠٠هـ .

٢٥- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ) : بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ١٤١٣هـ .

٢٦- علم أصول الفقه : لعبد الوهاب خلاف ، دار القلم بالكويت ، الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ .

٢٧- علوم الحديث : لابن الصلاح ، تحقيق نور الدِّين عتر ، دار الفكر بدمشق ، ١٤٠٦هـ .

٢٨- عمل اليوم والليلة : لابن السني ، تحقيق عبد الرحمن كوثر

البرني ، مكتبة الشيخ بكراتشي ، ١٤١٢هـ .

٢٩- العيال لابن أبي الدنيا : تحقيق نجم عبد الرحمن خلف ، دار ابن القيم بالدَّمَّام ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٣٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر ، بعناية عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمَّد فؤاد عبد الباقي ومحبّ الدِّين الخطيب ، مكتبة دار الفيحاء بدمشق .

٣١- فضائل القرآن : لأبي عبيد القاسم بن سَلاَّم ، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخيَّاطي ، نشرة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية ، ١٤١٥هـ .

٣٢- فضائل القرآن : لابن كثير ، تحقيق سعيد عبد المجيد محمود ، دار الحديث بالقاهرة .

٣٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير : لمحمد عبد الرءوف المناوي ، دار الفكر ببيروت .

٣٤- كشف القناع المُرنى عن مهمات الأسامي والكنى : لبدر الدِّين العيني ، تحقيق أحمد محمد نمر الخطيب ، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بجُدَّة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٣٥- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : للسيوطي ، دار المعرفة ببيروت .

٣٦- لسان العرب : لابن منظور ، تحقيق عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي ، دار المعارف بمصر (طبعة مرتَّبة على الطريقة الحديثة للمعاجم) .

٣٧- المستدرك على الصحيحين : لأبي عبد الله الحاكم ، دار الفكر ببيروت ، ١٣٩٨هـ .

٣٨- المسند : لأحمد بن حنبل ، المكتب

السلفي، دار إحياء التراث العربي ببيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

٤٤- المعجم الوسيط : للجنة من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة بإستنبول ، ١٤٠٦هـ .

٤٥- مقدمة تاريخ ابن خَلدون (المسمَّى بكتاب العِبَر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السطان الأكبر : دار إحياء التراث العربي ببيروت .

٤٦- الموطأ : للإمام مالك بن أنس ، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ببيروت ، ١٤٠٦هـ .

الإسلامي ودار صادر ببيروت .

٣٩- المسند : لأبي داود الطيالسي ، جمعه له بعض الحفَّاظ الخراسانيين ممَّا رواه يونس بن حبيب خاصة عنه ، دار المعرفة ببيروت .

٤٠- المسند (السنن) : لأبي محمد الدارمي ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار القلم بدمشق ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ .

٤١- المسند (المنتخب) : لعبد بن حُميد ، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي ، عالم الكتب ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٤٢- المصنَّف : لعبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ببيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٤٣- المعجم الكبير : للطبراني، تحقيق

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية	٢
المقدمة	٣-٤
الدور التحضيري : تكوين الأُسرة المؤمنة وإعدادها لظهور الطفل المؤمن	٥-٦
توطئة	٥
(أ) تكوين الأُسرة المؤمنة	٦
(ب) إعداد الأُسرة المؤمنة لظهور الطفل المؤمن	٧-٢٧
الدور المباشر : ميدان الأُسرة في رعاية الطفل إيمانياً	٧
تمهيد	٧-٨
(أ) مسؤولية الأُسرة	٨-٩
(ب) القلب مَغْرِس الإيمان	٩
(ج) الفطرة الإيمانية	١٠
(د) مراحل الطفولة	١٠-٢٧
أسس الرعاية الأُسرية للطفل إيمانياً	١٠-١٥
أولاً : إيقاظُ فطرة الوليد الإيمانية وتحصينُها	١١-١٢
١- التأذين في أُذن الوليد اليمنى والإقامة في اليسرى	١٢-١٣
٢- الدعاء له بالخير والصلاح	١٣
٣- النَّسْك عنه	١٣-١٤
٤- التصدق بزِنة شعره فضة أو ذهباً	١٤
٥- الفَتْح عليه بكلمة التوحيد	١٤-١٥
٦- تغذيته بالحلال وإبعاده عن المحرمات كلها	
ثانياً : الربطُ المباشر للوليد بالفطرة الإيمانية مع توسيع نطاقها وتحريك الوليد بها	١٥-١٩
١- تصوير آثار الفطرة الإيمانية في سلوك الأُسرة	١٥-١٦
٢- تقديم الفطرة الإيمانية في قالب ذهني مناسب	١٦
	١٦-١٩

بواسطة الحس	
٣- تحريك الطفل للقيام بما يستطيعه ويرغب به من موجبات الفطرة الإيمانية	١٨
(أ) اللَّهَجُ بالشهادتين مع تصورهما في ذهنه وقلبه	١٨-١٩
(ب) حفظ ما تيسر من القرآن الكريم	١٩-٢٣
ثالثاً : تدريب الطفل وترويضه على مقتضيات الفطرة الإيمانية الموسعة وصَقْله بها	٢٠-٢٣
١- إكمال ما أسس من أركان الإيمان والإسلام	٢٣
٢- التوسع في القاعدة الإيمانية	٢٣
(أ) رعاية الطفل بالإيمان بالملائكة	٢٣
(ب) رعاية الطفل بالإيمان باليوم الآخر	
رابعاً (وهو الأخير) : تحقيق التزكية الإيمانية القائمة على الفطرة الموسعة ومقتضياتها	٢٤-٢٧
١- الإيمان بالقَدَر	٢٤-٢٥
٢- مراقبة الله تعالى	٢٥-٢٦
(أ) إشعار الطفل بأسماء الله تعالى الدالة على المراقبة	٢٥
(ب) توسيع نطاق إيمانه بالملائكة	٢٥
(ج) توسيع نطاق إيمانه باليوم الآخر	٢٥
٣- إيقاع العقاب التأديبي في حال التقصير	٢٧
تنويه بالعاقبة	٢٨
فهرس المصادر والمراجع	٢٩-٣٢